﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ۝٥﴾ [الأحقاف: 5]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

عبدةُ الأصنام أضلُّ من جميع الضّالين بدعائِهم من لا يستجيب لهم أبدًا

لمّا أبطل الله ﷻ قولهم في الأصنام بعدم قدرتها على إتيان شيء من ذلك؛ لأنَّها من جملة مخلوقات في الأصل؛ أتبعه إبطاله بعدم علمها؛ ليعلم قطعًا أنَّهم أضلُّ من جميع الضّالين؛ إذ ارتبطوا في أجلِّ الأشياء – وهو أصول الدين – بما لا دليل عليه أصلًا، فقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥ﴾ الآيةَ[1].

وأيضًا لمّا أخبر الله تعالى أنَّ القولَ بعبادة الأصنام قول باطلٌ، من حيث إنَّها لا قدرة لها على الخلق والفعلِ والإيجاد والإعدام والنَّفع والضُّرِّ؛ أتبعه بدليل آخر يدلُّ على بطلان القول، وهي أنَّها جمادات، فلا تسمع دعاء من يدعوها، ولا تنجز حاجات المحتاجين، فقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥ﴾ الآيةَ[2].

وأيضًا لمّا أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يحاجَّهم بالدَّليل؛ أردفه بدليل آخر عن طريق توجيه خطابه إليهم؛ تعجيبًا من حالِهم وضلالِهم؛ ليكون ذلك أدعى إلى ترْكِ دعاء الأصنام وعبادتِها[3].

وأيضًا لمّا أبطل الله تعالى استحقاق آلهتِهم العبادة، وألزمهم بدليل عقليٍّ ونقليٍّ؛ بيَّن أنَّ المشركين أضلُّ من كلِّ أحدٍ بدعائِهم مَن لا يستجيب لهم، فقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥ﴾[4].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 126.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 7.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 11.
(4) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 455.

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَسْتَجِيبُ﴾: أصل الكلمة (جوب)، ويدلُّ على خرق الشَّيء وقطْعِه، يُقالُ: جُبْتُ الأرضَ جَوبًا، أي: قطعتها سيرًا، ومن الأصل: جوابُ الكلام؛ لأنَّه يقطعُ الجوب، فيَصِلُ من فمِ القائل إلى سمع المستمع، وخُصَّ الجوابُ بما يكون في مقابلة سؤال، فإن كان السُّؤالُ طلبَ مقالٍ، فجوابُه المقال، كما في جواب السُّؤال المقالي، وإن كان طلبَ نوالٍ وعطاء؛ فجوابُه يكون بالعطاء، كما في إجابة الدُّعاء وإيتاء النَّوال، والاستجابة هي الإجابة، بمعنى: قبول طلب النَّوال وإيتاء السُّؤل إمدادًا بالمطلوب، و﴿لَّا يَسْتَجِيبُ﴾ في الآية بمعنى: لا يجيب دعاءَه، ولا يعطيه منالَهُ أبدًا؛ لأنَّه لا يملكه.

2) ﴿غَٰفِلُونَ﴾: أصل الكلمة يدلُّ على خلوِّ الشَّيء ممّا يلفت، أو ينبِّه أويدلُّ[1]، والغُفْلُ: ترْكُ الشَّيء سهوًا؛ بسببِ قلَّة التَّحفُّظ والتَّيقُّظ[2]، فيقال: غفلتُ عن الشَّيءِ غَفلَةً وغُفولًا، وإن كان التَّرك عن عمدٍ وعن ذكرٍ منك له، فيقال: أغفَلتُهُ[3]، ويَقولونَ لِكُلِّ ما لا مَعْلَمَ لَهُ ولا سمة: غُفْلٌ، كَأَنَّهُ غُفِلَ عَنهُ، ولم يلتفت إليه، ورجلٌ غُفلٌ، لَم يُجَرِّبِ الأُمورَ[4]، والمُغَفَّلُ: الَّذي لا فِطْنة لَهُ[5]، وكلُّ ما في القرآن من التَّركيب هو من الغفلة بمعنى عدم التَّنبُّه وما إليه، و﴿غَٰفِلُونَ﴾ في الآية بمعنى: لا يَسمَعونَ، ولا يَفهَمونَ[6].

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

في هذه الآية توبيخٌ من اللّه للمشركين، وتسفيهٌ لِرأي عبدةِ الأصنام؛ لِقُبح اختيارهم في عبادتهم من لا يعقل شيئًا، ولا يفهم،

**لا أحَـدَ أشَـدُّ ضَـلالًا مِـمَّـن يدعو مِن دونِ اللـهِ آلِـهـةً لا تُـجيبُ دُعـاءَه أبدًا**

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (غفل).
(2) الرّاغب، المفردات: (غفل).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (غفل).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غفل).
(5) الرّاغب، المفردات: (غفل).
(6) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 183.

فيقول الله تعالى: وأيُّ عبد أضلُّ من عبد يدعو من دون الله آلهة، لا تستجيب له إلى يوم القيامة، أي: لا تُجيب دعاءَه أبدًا، وآلهتهم الَّتي يدعونهم غافلون عن دعائهم؛ لأنَّها لا تسمع، ولا تنطق، ولا تعقل[1].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

### نوع الواو ودلالتها:

من أساليب القرآن تتابُع الأدلَّة على المدّعى

الواو في قولِه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ عاطفة؛ لتفيد عطف الدَّليل على الدَّليل، فإنَّه لمّا أقام الحجَّة عليهم في قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من حيث إنَّها لا قدرة لها على الخلق والإيجاد؛ أتبعه بدليل آخر، فقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ لبيان أنَّ من يدعونهم جمادات لا تسمع، ولا تستجيب لأحدٍ؛ ليكون تتابع الأدلَّة أدعى إلى تركِهم دعاء الأصنام وعبادتِها، فمناسبة الوصل بالواو إيراد الدَّليل بعد الدَّليل، ويحتمل أن تكون الواو استئنافيَّة[2]؛ لتفيد الانتقال من إلزام المشركين الَّذين يعبدون الأصنام بالدَّليل العقليِّ والنَّقلي على بطلان استحقاقِ آلهتِهم العبادة، إلى تقريرِ أنَّهم أضلُّ من كلِّ أحدٍ بدعائِهم من لا يستجيب لهم.

### غرضُ الاستفهام بأداة (مَنْ):

أقصى حدِّ الضَّلالة دعاء من لا يستجيب للطَّلب أبدًا

الاستفهام في قولِه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ مجازيٌّ على معنى إنكارِ أن يكون في الضُّلّالِ كلِّهم من يكون أبلغَ ضلالًا من عبدة الأصنام[3]، ويتولَّد من الاستفهام الإنكاري تعجيبٌ لحالِهم، وتوبيخٌ لفعلِهم، وتسفيهٌ لرأيِهم، وتقبيحٌ لتعنُّتهم، ويتضمَّن الاستفهام الإنكاريُّ معنى النَّفي[4]، أي: لا أحد أشَدُّ ضَلالًا، وأعْجَبُ حالًا، مِمَّن يَدعونَ مِن دونِ اللّه مَن لا يَستَجِيبُ لَهُ دُعاءَهُ أبدًا، فَهوَ أقْصَى حَدٍّ مِنَ

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 95.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 455.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 295.
(4) أبو حفص النّسفي، التّيسير في التّفسير: 13/ 374، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 78.

الضَّلالَةِ[1]، ففي الاستفهام إنكارٌ ونفيٌ لأن يكون في الضَّلالِ من هو أبلغ ضلالًا من هؤلاء، وإنَّما جاء الإنكار بطريق الاستفهام المجازيِّ؛ لِما يلزمه من الإذعان والتَّسليم بعد بيان السَّبب، وهو كونهم يتركون دعاء اللّه السَّميع المجيب، ويدعون من لا يستجيب لهم، ولا قدرة به على استجابة أحد منهم ما دامت الدُّنيا، وإلى أن تقوم القيامة، ومن انتفت قدرته وعلمه؛ لم تصحَّ عبادته ببديهة العقل.

### نكتةُ استعمالِ مفردة الضَّلال دون الكفر أو الشِّرك:

الضَّلالُ هو العدولُ عن الطَّريقِ المستقيمِ، وتضادُّهُ الهداية

لمّا كان الكلام عن تقبيح دعاء المشركين لآلهتِهم، وطلبِهم منها أن تقضي حاجاتِهم، وكان هذا الأمر يدلُّ على قلَّة العقلِ وسفاهة الرَّأي؛ بسبب عدولِهم عن الطَّريق المستقيم والرَّأي السَّديد؛ عبَّر بلفظ الضَّلال دون لفظ الكفر أو الشِّرك؛ لأنَّ الضَّلال هو العدولُ عن الطَّريق المستقيم، ويضادُّهُ الهداية[2]، كما أنَّهم لمّا تركوا دعاء اللّه تعالى، ولجؤوا إلى دعاء مَن لا يستجيب لهم؛ كان حالهم حال من ترك الطَّريق المستقيم، والصَّواب في الدُّعاء، وعدل إلى الضَّلال، ففي التَّعبير بلفظ الضَّلال إشارة إلى أنَّهم تركوا الهداية في دعاء اللّه تعالى وحده، ففي الكلام كناية إلى أنَّ الهدى والرَّشاد في دعاء اللّه وحده.

### دلالةُ صيغة التَّفضيل في ﴿أَضَلُّ﴾:

عبدةُ الأصنام أضلُّ من كلِّ الضُّلّال؛ إذ تركوا عبادةَ خالقِهم إلى عبادةِ مصنوعِهم

لمّا قال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾، أفاد التَّعبير بصيغة اسم التَّفضيل أنَّ الكلام في مَنْ يكون أكثر ضلالًا من الكفّار، ففيه إثباتٌ لضلالِ مَن يدعو مَنْ لا يستجيب له أبدًا، ولكونِ ضلالِه أبلغَ ضلالٍ بحيث لا مزيدَ عليه، وينبني عليه أن لا أحدَ من الضُّلّالِ أضلُّ منه؛ لأنَّه اتَّصف بأعلى مراتب الضَّلالِ وأقبحِه، أي: هُم أضلُّ من كلِّ ضالٍّ؛

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 12.
(2) الرّاغب، المفردات: (ضلل).

إذ تركوا عبادةَ خالقِهم السَّميعِ القادرِ المجيبِ الخبير إلى عبادةِ مصنوعِهم العارِي عن السَّمعِ والقدرةِ والاستجابةِ[1]، ويلزم من كونِهم أضلَّ من كلِّ ضالٍّ أن يكونوا أضلَّ ممَّن عداهم، ويؤيِّده التَّعبير بالاسم الموصول (مَنْ) الَّذي يفيد العموم، والتَّعبير بأسلوب ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ أبلغ من القول بأنَّهم أضلُّ سبيلًا[2]؛ لأنَّ المقام مقام خطاب من يدعو الأصنام من دون اللّه تعالى بقصد استجابة دعائِه ونيل سؤلِه.

### نوع (مِنْ) ودلالتها في ﴿مِمَّن﴾:

(مِنْ) في قولِه: ﴿مِمَّن﴾ ابتدائيَّة، بمعنى أنَّ الأضلّيَّة المطلقة تبدأ من الشَّخص الَّذي يدعو من دون اللّه مَن لايستجيب له أبدًا.

### نكتةُ استعمال (مَنْ) دون (الذي):

عبَّر بصيغة الموصول (مَنْ) دون (الذي)؛ لأنَّ (مَنْ) أعمُّ، فيشمل اللَّفظ كلَّ من يدعو شيئًا من دون اللّه، كما أنَّه لمّا كان (مَنْ) يُستعمل للعاقل؛ كان التَّعبير به للتَّنبيه إلى سفاهة عقولِهم وتقبيح رأيِهم.

### بلاغةُ استعمال ﴿يَدْعُواْ﴾:

أخـصُّ أنـواع العبادة الدُّعاء

عبَّر بلفظ ﴿يَدْعُواْ﴾ دون أن يقال: ومن أضلُّ ممَّن يعبد من دون اللّه؛ لأنَّ الكلام في سياق بيان ضلالِ مَن يدعو من دون اللّه وسفاهة رأيِه وقبحِ فعلِه، فيكون المراد من الدُّعاء المعنى الحقيقيَّ؛ ليشير إلى أنَّ أخصَّ أنواع العبادة هي الدُّعاء، أو يقال: قصد باللَّفظ المعنى الحقيقي والمجازي؛ ليشمل الدُّعاء والعبادة، وعبَّر بالدُّعاء للتَّنبيه إلى أهمّيَّته في التَّوحيد، كما أنَّه لمّا كان السّياق في بيان إقامة الدَّليل على ضلالِهم؛ عبَّر بالدُّعاء؛ لأنَّ دعاء من لا يستجيب لهم أوضح دلالةً على ضلالِهم.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 78.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 455.

**نوعُ حرف ﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِن دُونِ﴾:**

﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ابتدائيَّة؛ لتفيد عموم الابتداء المتعلِّق بظرف المكان ﴿دُونِ﴾، ففي دخولِها على الظَّرف إشعارٌ بسفول كلِّ ما يعبَدُ من دون الله[1].

**سببُ إيثارِ تقديم الحال على المفعول:**

تقدَّم الحال من الجار والمجرور في قوله: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ على المفعول به ﴿مَن﴾؛ للاهتمام بالحالِ؛ لأنَّه موضع الإنكار والتَّعجيب، وإنَّما قال: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، ولم يقل: من يدعو مع الله من لا يستجيب له؛ للإشارة إلى أنَّ دعاء الله تعالى على سبيل التَّشريك كلا عبادة، فمَن يدعو آلهةً مع الله تعالى؛ كان كمن دعا الآلهةَ من دون الله.

دعاءُ الله تعالى على سبيل التَّشريك كلا عبادة لله أصلًا

**براعةُ استعمالِ الاسم الموصول المختصِّ بالعقلاء كناية عن الأصنام:**

جاء استعمال الاسم الموصول بصيغة العقلاء ﴿مَن﴾، كما عبَّر بضمير العقلاء في قوله: (هُم) و﴿غَٰفِلُونَ﴾ على طريق التَّنزُّل في الاستدلال، فخوطبوا على نحو معتقد المشركين في كون الأصنام آلهةً، فأسند إليهم ما يُسند إلى أولي العلم من الاستجابة والغفلة[2]، وجاء ذلك تماشيًا في الدَّليل للوصول إلى إذعانِ الخصمِ وتسليمِه، أو يقال في إسناد (ما) للعاقل لغير العاقل؛ للتغليب على سبيل المجازاة؛ لأنَّ عابدي الأصنام كانوا يصفونها بالتَّمييز جهلًا وغباوة[3].

في التَّعبير عن الأصنام بالاسم الموصول للعقلاء مجاراة للخصم أو تهكُّمًا وتبكيتًا له

**دلالةُ التَّعبير بالموصول وصلتِه في قوله: ﴿مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥ﴾:**

عبَّر بالموصول وصلتِه في قولِه: ﴿مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥ﴾؛ لإحضار الموصول بوساطة صلتِه الَّتي هي معلومة الانتساب إلى مشار إليه عند المخاطَبين، بمعنى: أنَّ المخاطَبين على علمٍ بأنَّ آلهتَهم الَّتي يدعونها

المشركون على علمٍ بأنَّ آلهتَهم الَّتي يدعونها من دون الله لا تستجيب لهم

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 127.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 295، وأبو حيان، البحر المحيط: 9/ 433.
(3) درويش، إعراب القرآن: 9/ 168.

من دون اللّه لا تستجيب لهم، ففيه تسجيل عليهم بضلالِهم وسفاهة عقلِهم ورأيِهم، كما أنَّ في التَّعبير بالصِّلةِ إيماءً إلى سبب الإنكار على مَن يدعو الآلهة من دون اللّه مع نفي أن يكون أحد من الضُّلّالِ أضلَّ منه، وهو كونه يدعو مَن لا يستجيب له إلى يوم القيامة.

**نكتةُ استعمالِ الفعل ﴿يَسْتَجِيبُ﴾:**

من أساليب الاحتجاج في القرآن فرضُ المحال على سبيل تبكيت الخصم وتعجيزه

عبَّر بلفظ الاستجابة في قولِه: ﴿لَّا يَسْتَجِيبُ﴾ دون أن يقال: ومن أضلُّ ممَّن يدعو مَن لا يسمع دعاءه؛ لأنَّ الدَّليل على ضلالِهم جاء على سبيل التَّنزُّل مع الخصمِ، ففيه فرضٌ للمحال على سبيل التَّبكيت[1]، أي: حتَّى لو سمعوا دعاءكم - وهو محال لأنَّ الأصنام لا تسمع، ولا تعقل - فلا يقدرون على استجابة دعائِكم، كما أنَّ في التَّعبير بنفي الاستجابة تقريرًا لضلالِهم، ببيان عجز من يدعونه؛ لأنَّهم كانوا يطمعون أن يحصلوا على نوالِهم من دعائِهم للأصنام، فلمّا قال: ﴿لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾؛ أفادَ أنَّ من يدعونه من دون اللّه لا يجيب دعاءَهم، ولا يؤتيهم سؤالَهم، ولا يعطيهم نوالَهم أبدًا، ففيه قطْعٌ لطمعِهم وتهكُّمٌ بالأصنام وعبدتِها.

**نوع اللّام ودلالتها في ﴿لَهُۥ﴾:**

اللّام في ﴿لَهُۥ﴾ للتَّخصيص، ولمّا قال: ﴿لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥ﴾؛ أفاد نفي تخصيص الاستجابة لمن يدعوه.

**توجيهُ تقييدِ عدم الاستجابة بقيد ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾:**

ما هو أشدُّ على المشركين من عدم استجابة آلهتِهم لهم في الدُّنيا عداوتهم لهم وكفرهم بهم يوم القيامة

الغاية في قوله: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ من الغايات المشعرة بأنَّ ما بعدها، وإن وافق ما قبلها إلّا أنَّه أزيد منه زيادة بيِّنة تلحقه بالمباين حتى كأنَّ الحالتين - وإن كانتا نوعًا واحدًا - لتفاوت ما بينهما كالشَّيء وضدِّه، وذلك أنَّ الحالة الأولى الَّتي جعلت غايتها القيامة لا تزيد على عدم الاستجابة، والحالة الثّانية الَّتي في القيامة زادت على عدم الاستجابة

(1) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 455.

بالعداوة، وبالكفر بعبادتهم إيّاهم، كما ينطق به قوله: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: 6]، ونحوه قوله سبحانه في إبليس: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٧٨﴾ [ص: 78]، يعني: أنَّ عليه الطَّرد والرَّجم إلى يوم القيامة، فإذا جاء ذلك اليوم؛ لقي ما ينسى معه اللَّعن ممّا هو أشدُّ منه[1]، أو يقال في سبب مجيء الغاية: إنَّه لمّا كان أقلُّ الاستجابة مطلق الكلام، وكانوا في الآخرة يكلِّمونهم في الجملة، وإن كان بما يضرُّهم؛ غيّا هذا النَّفي بوقت لا ينفع فيه استجابة أصلًا، ولا يغني أحد عن أحد أبدًا، فقال تعالى: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[2]، فالمقصود من تقييد التَّوقيت بيوم القيامة الإشارة إلى التَّخاطب الَّذي يكون بين المشركين وشركائهم يوم الحشر، كما جاء في الآية التّالية: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾ [الأحقاف: 6]، ففي هذا التَّبرّي والتَّخاطُب نوع من الاستجابة، ولكن على معنى الضِّدِّ؛ لأنَّ فيها زيادةً في العذاب والعداوة بين الآلهة وعبّادِها[3]، ويُحتمل أن يكون المراد من الغاية معنى التَّأبيد، فيكون ذِكر الغاية بقصد قطع طمعِهم في الاستجابة، كما يحتمل أن تكون الغاية معتبرةً؛ للإشارة إلى أنَّ وقت الاستجابة يكون في الدُّنيا، والمعنى: لا يستجيب له مادامت الدُّنيا، أي: مدَّة بقاء الدُّنيا[4]، فإذا انقضت الدُّنيا، وقامت القيامة؛ فات وقت الاستجابة[5].

### سرُّ ذكرِ اسم القيامة دون مرادفاتها:

عبَّر عن نهاية الدُّنيا بـ﴿يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ دون أن يقال يوم تقوم السّاعة أو مرادفاتها الأخرى؛ للإشعار بقيام الخلق كلِّهم أجمعين لربِّ العالمين، ومنها معبوداتهم الَّتي يدعونها، وفيه سبب آخر، وهو أنَّ المواجَه بالخبر

**غالبًا ما يعبِّر القرآن الكريم عن اليوم الآخر بأنَّه يوم القيامة للإشارة إلى قيام الخلق أجمعين**

(1) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 26، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 164.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 127.
(3) النّيسابوري، غرائب القرآن: 6/ 117.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 12.
(5) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 455.

هو الرَّسول ﷺ والمؤمنون، وهم يثبتون يوم القيامة[1]، كما أنَّ في ذكر يوم القيامة تنبيهًا للكافرين إلى أنَّه واقع - لا محالةَ - ففيه إيماء إلى الحساب والعقاب على دعائِهم وضلالِهم.

**نوع الواو في ﴿وَهُمْ﴾:**

الواو في قولِه: ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ حاليَّة، فما بعدها جملة حاليَّة، ونكتة مجيء الحال تقرير التَّعجيب من ضلالِهم، وأنَّه لا أحدَ أضلُّ منهم؛ لأنَّ الأصنام عن دعائِهم غافلون.

**تعيينُ مرجع الضَّمير في قولِه: ﴿وَهُمْ﴾:**

يعود ضمير الجمع في قولِه: ﴿وَهُمْ﴾ إلى الاسم الموصول في قولِه: ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ﴾، فيكون المراد معنى الجمع في الاسم الموصول.

**نكتة تقديم ﴿عَن دُعَآئِهِمْ﴾ على المسند:**

قُدِّمَ الجار والمجرور ﴿عَن دُعَآئِهِمْ﴾ على متعلَّقِه ﴿غَٰفِلُونَ﴾؛ للاهتمام بموضع التَّعجيب من فعلِهم، كما أنَّ في تقديم الجار والمجرور رعاية للفاصلة ورؤوس الآي.

**دلالةُ إضافة الدُّعاء إلى الضَّمير:**

أُضيف الدُّعاء إلى الضَّمير في قولِه: ﴿دُعَآئِهِمْ﴾، وهو من إضافة المصدر إلى الفاعل؛ لأنَّ المعنى: والأصنام عن دعاء المشركين غافلون، وأصل الكلام: وهم عن دعائِهم لهم غافلون، لكنَّه حذف متعلِّق المصدر (لهم)؛ للإشارة إلى عموم غفلتِهم وعدم تنبُّههم، ففيه إشعار بنفي علمِهم بأنَّ الدُّعاء لهم، فهي أصنام لا تسمع، ولا تُدرك.

المصدر قد يُضاف إلى الفاعل أو المفعول

**تعيينُ مرجع الضَّمير في ﴿دُعَآئِهِمْ﴾:**

الضَّمير في ﴿دُعَآئِهِمْ﴾ يعود إلى الاسم الموصول في قولِه: ﴿مِمَّن

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 12.

﴿يَدۡعُواْ﴾، فيكون الضَّمير عائدًا إلى الاسم الموصول باعتبار معنى الجمع، وليس باعتبار اللَّفظ، والمعنى: وهم - أي: الأصنام - عن دعاءِ عابديهم غافلون.

**بلاغةُ استعمال مفردة الغفلة:**

في وصف الآلهة بالغفلة تهكُّم واستخفاف بها وبعابديها

التَّعبيرُ بالغفلة في قوله: ﴿غَٰفِلُونَ﴾ مجازٌ عن عدم الفائدة فيها، ففي وصف تلك الآلهة ونحوها ممّا لا يعقل بالغفلة - الَّذي هو موضوع لأن يُستعمل في العقلاء - تجوُّزٌ في الغفلة، وكان التَّعبير بما هو للعاقل؛ لإجراء العبدة إيّاها مجرى العقلاء[1]، أو يقال: التَّعبير بالغفلة من باب التَّغليب لمن يُتصوَّر منه الغفلة على غيره[2]، وعلى الوجهين ففي وصف الآلهة بالغفلة عن طريق الإخبار عنها في قوله: ﴿وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ﴾ إشارة إلى التَّهكُّم بهذه المعبودات وبعابديها والاستخفاف بهم، فهي لا تلتفت إليهم، ولا تأبه لدعائهم، حتَّى ولو كان من شأنها أن تسمع، وتعقل.

**نكتةُ التَّعبير باسم الفاعل ﴿غَٰفِلُونَ﴾:**

عبَّر بصيغة اسم الفاعل في قوله: ﴿غَٰفِلُونَ﴾؛ للإيذانِ بأنَّ الغفلة صارت وصفًا لازمًا لهم، فيكون المراد لزوم التَّهكُّم بهم.

**سببُ العدول إلى ضمير الجمع بعد ذكر ضمير المفرد:**

لو اجتمعت الآلهة كلُّها؛ لَما كان منها إلّا الغفلة عن عابديها

عبَّر بصيغة ضمير المفرد في اللَّفظ في الاسم الموصول عند ذكر الأصنام وعابديها في قولِه: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾، ثمَّ انتقل إلى التَّعبير بصيغة ضمير الجمع، فقال: ﴿وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ﴾، ولم يقل: وهو عن دعائِه غافل، وسبب العدول إلى ضمير الجمع: هو أنَّ الجملة الحاليَّة جاءت على سبيل

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 165.

(2) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 26، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 456.

التَّعجيب من حالِ المشركين والتَّهكُّم بالأصنام وعابديها، ففيه إشارة إلى أنَّه لو اجتمعت الأصنام كلُّها؛ لَما كان منها إلّا الغفلة عن عابديها، كما أنَّ المقام مقام استخفاف وتهكُّم، فناسب التَّصريح بضمير الجمع دون الإفراد.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والخمسون،
سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 55 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-659-89-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 55 : المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-659-89-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4299298 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"